

سياسات الاتصال الاستدامي في الجزائر: مقاربات لتكريس سلوك المواطنة

د. يامين بودهان

وحدة البحث تنمية الموارد البشرية، جامعة سطيف2

yamineboudhane@yahoo.fr

د.لعرباوي نصير

قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة سطيف2

ملخص :

يستعرض المقال الآتي أهمية رسم سياسات للاتصال الاستدامي في الجزائر كآلية فاعلة لإنجاح خطط التنمية في كل مجالاتها (اقتصاديا، سياسيا، اجتماعيا...)، فمن خلال إشراك وسائل الإعلام المختلفة في عمليات غرس الوعي التنموي لدى المواطنين، تتغير فعلا القيم والذهنيات، لتتواءم مع المخططات التنموية الوطنية والمجتمعية، تأتي إذن أهمية استخدام وسائل الاتصال المختلفة في مرافقة خطط التنمية المستدامة على مختلف الأصعدة (اقتصاديا، بشريا، بيئيا، اجتماعيا...)، هذا ما ترمي المداخلة الآتية لتفسيره وعرضه.

Résumé :

Les enjeux du développement durable, à la fois éthiques et stratégiques, politiques et économiques, sont aussi des enjeux de communication. Du marketing à la publicité, de la communication corporate aux campagnes publiques de sensibilisation, les messages du développement durable s'incarnent dans des pratiques qui s'affirment. Elles font l'objet d'une réflexion mais aussi d'un apprentissage pour les professionnels du marketing, de la publicité et de la communication.

La communication durable a, depuis ses débuts, concerné essentiellement la communication directement liée au développement durable ou la responsabilité sociétale d'entreprise via la sensibilisation et l'information des parties prenantes, l'établissement des rapports de développement durables pour les actionnaires.

L'objectif de cette communication est de traiter d'une manière aussi simple que possible le concept de la communication durable en Algérie (objectifs, priorités, indicateurs d'évaluation...).

مقدمة

إن الهدف الحقيقي لبرامج التنمية المستدامة في هو إحداث تغيير في اتجاهات الناس وفي البنية الطبيعية وإنشاء علاقات جديدة بينهم وبين الموارد الاقتصادية وإدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة في الإنتاج وما يتبع ذلك من تغيرات لأساليب الإنتاج ومفاهيم الثروة والدخل والاستهلاك مما يترتب عليه تغيير في التركيب الاجتماعي والعلاقات ومجموع القيم الاجتماعية وإدخال مفاهيم علمية جديدة في السلوك والعادات والخبرات التقليدية في مجالات العمل الجماعي والحياة السياسية والتعليم والإدارة والصحة وغيرها.

فوسائل الإعلام والاتصال عموماً لها دور كبير في تحقيق الشراكة الإستراتيجية مع المؤسسات العمومية والخاصة لإنجاح السياسات التنموية في الجزائر في مجالات عديدة كالبيئة، الطاقات البديلة، وحفظ الموارد الطبيعية...

إن التنمية (الاقتصادية والبيئية، والاجتماعية) من استغلال الموارد، وتوجيه الاستثمارات، واتجاه التطور التكنولوجي، وإحداث التغييرات المؤسسية التي تتماشى مع الاحتياجات المستقبلية فضلاً عن الاحتياجات

الحالية لن يتحقق لا بشراكة حقيقة مع وسائل الإعلام التي تنشر الوعي وتوقظ الحس التنموي لدى المواطنين .

تكاملية العلاقة " اتصال- تنمية"

إن العلاقة بين التنمية المستدامة والاتصال تكاملية بامتياز، فلا تنمية دون وسائل اتصال تضمن سريانا سليما للمعلومات، ولا اتصال بغياب تنمية حقيقة، فمن الثابت أن كل أدوات الاتصال بمختلف حواملها المطبوعة، السمعية البصرية او الالكترونية هي أدوات مسببة او مساعدة لتحقيق عملية التحديث والتنمية (اليحياوي،2012)، فعلى حد تعبير "فيجن" فالعلاقة بين الاتصال والتنمية هي علاقة سبب ونتيجة. فوسائل الاتصال هي التي تدعم وتنشر قيم القبول والموافقة للأفكار التنموية الجديدة.

إن التنمية في المجتمع بكل جوانبها هي قبل كل شيء تنمية بشرية وإنسانية وذهنية تستلزم إحداث تغييرات جوهرية في الاتجاهات والقيم وطرق التفكير وليس فقط إحداث تطوير اقتصادي وسياسي، وهذا التغيير يستلزم من المؤسسات والتنظيمات وحتى الدول أن تخلق لدى المواطنين وعيا بالحاجة إلى التنمية وبالتالي تغيير في أنماط السلوك والفعل، ووسائل الاتصال بطبيعة الحال هي الأدوات المؤهلة لخلق المناخ للتنمية والتغيير، بما تقدمه من معلومات توسع آفاق الأفراد وتزيد

حصيلة معلوماتهم اتجاه ما يعايشونه من تجارب وخبرات، كما أنها تسهم بشكل كبير في ترتيب اولوياتهم وترشدهم لما يجب أن يفعلوه، او تلقنهم ما يجب أن يعرفوه بخصوص قضايا مجتمعاتهم وفق نظرية الأجندة، فهي التي تهيئهم نفسيا وذهنيا لتقبل الأفكار المستحدثة فيما يتعلق بمسائل الشؤون العامة على حد تعبير أفريت روجرز A, Rojers، في نظريته حول الاتصال والأفكار المستحدثة.

تشير كثير من الدراسات في مجال الاتصال التنموي إلى العلاقة الترابطية الوثيقة بين أنشطة الاتصال بوسائلها وقنواتها وأنشطة التنمية الشاملة في المجتمعات المختلفة، فتحقيق التنمية بطبيعة الحال لا يتحقق إلا إذا "تضمنت استراتيجيات التنمية الشاملة سياسات الاتصال بوصفها جزء لا يتجزأ من تشخيص الاحتياجات وترتيب الاولويات المختارة وتنفيذها، ويعد الاتصال في هذا الصدد موردا رئيسا من موارد التنمية الشاملة ووسيلة لضمان المشاركة الحقيقية في اتخاذ القرار وقاعدة معلومات مركزية لتحديد الاختيارات وأداة لخلق الوعي بالاولويات القومية"^(سمير محمد حسين، 1988، ص 13).

ولكي يتحقق لوسائل الاتصال أداء دورها التنموي الاستدادي، يتحتم وضع خطط واستراتيجيات عمل تنأى بالنشاط التنموي عن العشوائية والارتجال، بل تكون خطط مدروسة من قبل كل المؤسسات والفاعلين

العموميين والخواص لإشراك كل أفراد المجتمع في المخططات التنموية الوطنية والمجتمعية، تأتي إذن أهمية استخدام وسائل الاتصال المختلفة في مرافقة خطط التنمية المستدامة على مختلف الأصعدة (اقتصاديا، بشريا، بيئيا، اجتماعيا...) بنشر المعرفة بها وبأهدافها، وبإجراء الحوار حولها وعرضها، فوسائل الاتصال هي وحدها القادرة على وضع أجندة الجماهير وإعادة ترتيب اولويات المرحلة الراهنة التي تحتاج إلى المزيد من الوعي بالمخاطر والكوارث التي تحيط بالبيئة والموارد والطاقة وسوء استخدام الإنسان لها (رضا محمد أمين، 2000، ص27).

فالاتهام بالمقاربة الاتصالية في قضايا التنمية المستدامة حتمية إستراتيجية لتحقيق نجاحة حملات التوعية والتربية على ثقافة الاستدامة، فالعمل وفق هذه المقاربة يمكن من توضيح المفاهيم البيئية والاجتماعية من خلال إحاطة الجمهور المتلقي من مختلف فئات المجتمع بالرسالة الإعلامية الاستدامية بكافة الحقائق، والمعلومات الموضوعية بما يسهم في تأصيل تنمية البيئة المستدامة، وتنوير المستهدفين برأي سديد في الموضوعات والمشكلات البيئية المثارة والمطروحة.

بعد أن حددنا العلاقة التكاملية بين الاتصال والتنمية المستدامة وخلصنا إلى وجود علاقة سببية وثيقة بين تحديد استراتيجيات الاتصال وتنفيذ برامج التنمية نستعرض فيما يأتي المفهوم الاصطلاحي للاتصال

الاستدامي كمفهوم متأصل أضحى يوظف بكثرة في الأدبيات الأكاديمية المرتبطة سواء بعلوم الاتصال او أيضا بعلوم الاقتصاد والتخطيط، وذلك قبل نعرج على أهم الاستراتيجيات الاتصالية المتبناة في الجزائر كنموذج تنموي عربي، إذ باشرت منذ مدة تزيد عن العشرين عاما تنفيذ آليات مؤسسية وقانونية واجتماعية وداخلية في إطار خطط الاستدامة والإنصاف فيما يدخل ضمن ما أطلق عليه خطة تطبيق جدول أعمال القرن 21.

الاتصال الاستدامي كمفهوم

يقصد به ذلك الاتصال الموجه نحو المسائل المرتبطة مباشرة بالتنمية المستدامة او المتعلقة بجانب المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات نحو قضايا البيئة والمجتمع بمختلف جوانبها، من خلال التثقيف، التوعية، والإبلاغ عن برامج التنمية المستدامة للأفراد او الجماعات (Solange Hémerly-Jauffret , 2013). كما يشكل هذا النوع من الاتصال مجازات للربط بين الجماعات والتنظيمات ضمن سيرورة اتصالية متلاحقة قوامها الحوار والتداول الاتصالي في الشؤون العامة المرتبطة بقضايا الاستدامة كالبيئة، إدارة وتسيير الموارد الطبيعية، والتطوير الصناعي والاقتصادي.. (F,Cristelle, G, Marrion, 2008)

والاتصال الاستدادي أيضا هو لأداة تعمل على توضيح المفاهيم الاستدادية للجمهور المتلقي من خلال إحاطته بالرسائل الإعلامية الاستدادية وتوفير كل الحقائق والمعلومات الموضوعية والممكنة، بما يسهم في تأصيل تنمية البيئة المستديمة، وتنوير المستهدفين برأي سديد في الموضوعات والمشكلات البيئية المثارة والمطروحة (علي السيد وجمال الدين صالح، 2003).

الاتصال الاستدادي يعد " أداة من أدوات التغيير الواعي الموجه نحو بلوغ مجتمع متوازن قادر على التفاعل مع بيئته بشكل ايجابي من خلال تنمية مهارات عامة الناس وتنمية شعورهم بالمسؤولية حيال بيئتهم مما يكون سبباً في تغيير حقيقي في سلوكهم تجاه البيئة من خلال وعي علمي وإرادة حرة لتحقيق انضباط ذاتي للأفراد." (نادر غازي، 2012).

يرمي هذا النوع من الاتصال كذلك إلى بناء الشراكات مع المؤسسات لخدمة قضايا البيئة والتنمية من خلال تعزيز دور وسائل الإعلام في نشر الثقافة البيئية وتعميمها أملا في إيقاظ الحس البيئي، وذلك من خلال توظيف البرامج والمضامين المخصصة لمواضيع الاستدامة في الإذاعة والتلفزيون والصحافة المكتوبة، وكذا في مختلف أدوات الإعلام الجديد كالشبكات الاجتماعية والمنتديات والمدونات الالكترونية كأدوات وسيطة لنقل الثقافة الاستدادية.

مسئولية الإعلام إذن اتجاه عملية التنمية المستدامة تكمن أساسا في تزويد المجتمع بأكبر قدر من الحقائق والمعلومات الدقيقة بخصوص قضايا تتعلق بالبيئة، الفقر، الموارد الطبيعية..إذ أن هذه المعلومات تمكنهم من بناء تصورات وأحكام موضوعية ونقدية اتجاه هذه القضايا ويتبنون على اثر ذلك اتجاهات واعية وعقلانية فيما يتعلق بالمسؤولية الشخصية والاجتماعية نحو مسائل كحماية البيئة، او قضايا الرشاد في استغلال الموارد الطبيعية، والإنصاف في استخدامها بما يحفظ حقوق الأجيال القادمة، فبقدر ما في الإعلام من حقائق توعوية ومعلومات دقيقة موضوعية، بقدر ما تحقق تكوين أجيال واعية ومستنيرة تعيش حياتها مدركة أن كل عمل يقوم به فرد من الأفراد سيكون أثره على سبعة مليارات نسمة تعيش على هذه الأرض اليوم، ومليارات أخرى ستتوالى على هذه الأرض على مدى قرون من الزمن(تقرير التنمية البشرية، 2011).

يكمن دور الاتصال التنموي من خلال وظائف عمليات الاتصال المرتبطة بهدف التكيف والتواءم البيئي للمجتمع الذي يتحقق من خلال نظام التغيير لانجاز التنمية والابتكار والتحديث، وهذه الوظائف تتمثل فيما يلي:(صالح خليل أبوأصبع، 2009)

1- المعلومات: إذ يمكن لوسائل الاتصال أن تقوم بتوفير المعلومات للجمهور عن بيئتها المحلية والخارجية، وتوفير معلومات ترتبط مباشرة ببرامج التنمية.

2- لوسائل الاتصال دور في الإقناع، من خلال إقناع الجمهور من خلال استمالات منطقية للمساهمة في البرامج التنموية ضمن حملات مخطط لها جيدا بحيث تتوافر فيها شروط عناصر النجاح.

3- التحريك : يمكن لوسائل الإعلام أن تستحث الجمهور وتحرك قدراته نحو إنجاز أهداف محددة من خلال استمالات عاطفية للإسهام في برامج التنمية.

4- الرقابة : دور الرقابة هام في العمل التنموي لأن هذه الوظيفة الاتصالية تمكن وسائل الإعلام من أن تفتح الأعين على جوانب التوفيق او التقصير في عمليات التنمية، وهذا الدور يجب ألا يقتصر على كشف الجوانب السلبية لعمليات التنمية، بكشفها وتجنبها، بل عليه أيضا إبراز جوانبها الايجابية حتى يتم تعزيزها.

5- الترفيه : تسريب قيم تنموية ونماذج للاحتذاء من خلال الرسائل الترفيهية، تساعد على دعم العمل التنموي. (صالح أبوأصبع، 181-182)

الإستراتيجية الاتصالية الجزائرية في مجال الاستدامة:

بعد أن استعرضنا فيما سبق أهمية المقاربة الاتصالية بصورة عامة في التوعية الاستدامية، إذ خلصنا إلى تأكيد فاعلية دور وسائل الإعلام بأصنافها وأنماطها سواء الجماهيرية منها أو الجمعية والشخصية في التنشئة والتكوين على ثقافة المساهمة في الحد من المخاطر البيئية من جهة، ومن جهة أخرى دورها في دفع الأفراد والمؤسسات للمساهمة بفاعلية في برامج الاستدامة بكل مجالاتها البيئية والاجتماعية، بعد استعراض لكل هذه الأفكار نأتي فيما يلي للحديث عن جهود وخطط المؤسسات والتنظيمات الجزائرية سواء الاتصالية المكتوبة أو السمعية البصرية وحتى المؤسسات الناشطة في الإعلام الجديد في مجال الاهتمام بالاتصال الاستدامي عن طريق تفعيل وتعميق دورها وواجباتها تجاه قضايا البيئة والاستدامة، وكذلك عن طريق تأهيل وتدريب وتطوير قابليات العاملين من صحفيين ومراسلين وإعلاميين في مجال الخدمة الاستدامية، وذلك بدفعهم للمشاركة في دورات اختصاصية في مجالات البيئة والتنمية.

- سياسات الاستدامة في الجزائر

"تركز معظم تعريفات التنمية المستدامة على فكرة مفادها أن الإمكانيات المتاحة للناس في المستقبل يجب ألا تختلف عن الإمكانيات

المتاحة للناس اليوم" (تقرير التنمية البشرية، 2011)، و" حماية أجيال المستقبل في كل مكان في حياة صحية لائقة يشكل التحدي الإنمائي الحقيقي للقرن الحادي والعشرين"، وهذا ما ورد في التقرير الإنمائي للأمم المتحدة 2011، إذ يشكل تحدي تشكيل التوافق بين الاستدامة والإنصاف، أي تحقيق العدالة الاجتماعية وإتاحة المزيد من الفرص لحياة أفضل للجميع التحدي الأهم أمام كل البشر في الفترة الحالية سيما مع تنامي المخاطر المباشرة المتأتية من البيئة التي نعيش فيها، كالتلوث في الأماكن المغلقة، تلوث المياه، عدم توفر خدمات الصرف الصحي... الخ إن ما تعرضت له البيئة ومازالت تتعرض له في كل مكان من أنحاء المعمورة من إهدار متعمد، وتلويث للمحيط وللمساحات الخضراء يجعل من الواجب على كل الأفراد والمؤسسات والحكومات بذل كل الجهد من أجل الحد من تفاقم الإهدار والتعدي على الحياة البيئية، فلن تبقى حياة للإنسان إذا أهدرت البيئة واستنزفت الموارد، فعلى حد تعبير أمارتيا سين «Amartya Sen»: " إن عاشت أجيال المستقبل في بيئة ملوثة محرومين من الهواء النقي فحتى لو كانت هذه الأجيال ثرية فثراؤها لن يعوض عن التلوث" (تقرير التنمية البشرية، 2011).

لقد حظيت القضايا البيئية باهتمام دولي منذ مدة طويلة، إذ كانت البداية مع مؤتمر استكهولم بالسويد في جوان 1972 حول البيئة

الإنسانية، والذي أنشأ بموجبه برنامج الأمم المتحدة للبيئة، وثانيا قمة الأرض في جوان 1992 بريودي جانير والبرازيلية انتهت بثلاث وثائق رسمية وهي: إعلان ريو، الأجندة 21، المبادئ العامة للغابات، لقاء بلغراد عام 1975، والمؤتمر الدولي الحكومي للتربية البيئية في تبليس بروسيا عام 1977، تقرير حول مستقبلنا المشترك 1987، مؤتمر جوهانزبورغ 2002، تقرير التنمية البشرية 2011. أما فيما يخص الشراكة الاورو متوسطة حول التعاون الاقتصادي المتوسطي فقد تأسست هذه الأخيرة في برشلونة عام 1995 وقد كانت البيئة ضمن اهتمامات وعمل هذه الدول المتوسطية وذلك بتقييم المشكلات البيئية وتحضير برنامج عمل للحوض المتوسطي واعتبار حوض المتوسط منطقة تجارية حرة ابتداء من عام 2010.

الجزائر بدورها تبنت منذ فترة تزيد عن عشرين كاملتين سياسة وطنية استهدفت الاندماج ضمن برامج الاهتمام الدولي نحو قضايا التنمية المستدامة لمواجهة المشكلات البيئية. وأزمات تكاثر النفايات الحضرية والصناعية وفساد الإطار المعيشي، إضافة إلى التصحر وإتلاف الغابات وإضعاف التنوع البيولوجي، وتدهور الموارد المائية، انبعاث الغاز من وسائل النقل، إذ صادقت الجزائر على عدد من الاتفاقيات الدولية والإقليمية كاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغيير المناخ سنة 1993،

والتي أكدت على وجوب تثبيت تركيزات غازات الدفيئة في الغلاف الجوي عند مستوى يحول دون تدخل خطير من جانب الإنسان.

كما صادقت الجزائر أيضا على بروتوكول مونتريال سنة 1992 حول طبقة الاوزون، إذ التزمت بمقتضاه بالقضاء تدريجيا على المواد المسببة لتهديد هذه الطبقة، وفي 06 جويلية 1995 صادقت الدولة على اتفاقية أخرى هي اتفاقية التنوع البيولوجي (أحمد ملحة، 2000).

أقرت السلطات العمومية الجزائرية أيضا مخططا وطنيا أطلق عليه اسم "المخطط الوطني من أجل البيئة والتنمية المستدامة" (Ministère de (PNAE- l'aménagement du territoire et de l'environnement, 2002) (DD)، خصص له حجم مالي قدره 970 مليون دولار، وامتد زمنيا من الفترة 2001-2011، وبناء على نتائج التشخيص الاستدامي الذي قامت به الهيئات والمنظمات المعنية مباشرة بالتنمية المستدامة (كالمرصد الوطني للبيئة والتنمية المستدامة، المركز الوطني لتكنولوجيات الإنتاج النظيف، المركز الوطني للتكوين في البيئة، الوكالة الوطنية للفضلات، والمجلس الأعلى للبيئة والتنمية، والمركز الوطني لتنمية الموارد البيولوجية (شريف بقة، 2007) صيغت السياسة الوطنية للبيئة المستدامة، وسعت هذه الإستراتيجية إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- إدماج الاستمرارية البيئية في برامج التنمية الاجتماعية الاقتصادية.

- العمل على النمو المستدام والتقليص من ظاهرة الفقر.

- حماية الصحة العمومية.

لقد خصصت الجزائر في السنوات الأخيرة إمكانيات مالية وبشرية كبيرة لدعم وتجسيد التنمية المستدامة في معظم المجالات الحيوية ولاسيما في المجال البيئي معتمدة على ثلاث وسائل هي وضع إطار قانوني صارم ومتخصص، مراقبة النشاطات المسببة للتلوث وإخضاعها للمعايير الدولية، وضع رسوم خاصة بحماية البيئة تدفع المؤسسات لمراقبة نشاطاتها، إضافة إلى الرسم المشجع للمؤسسات التي تتخلص من نفاياتها بالمعالجة بدل التخزين او الرمي.

إن برنامج الإنعاش الاقتصادي بشطريه 2001-2004 و2005-2009 كان أداة مرافقة للإصلاحات الهيكلية التي التزمت بها الجزائر قصد إنشاء محيط ملائم لاندماجه في اقتصاد عالمي، وتميز هذا البرنامج بإنعاش مكثف للتنمية في شتى المجالات الاستدادية وتجسد ذلك في انجازات عديدة نذكر منها:

- دعم النشاطات الإنتاجية (الفلاحية، الصيد والموارد المائية..)
- إنجاز البنى التحتية من أجل الاستقرار ورجوع السكان إلى المناطق الريفية.
- السكن، الاتصالات، تنمية الموارد البشرية وتحسين العلاج الاستشفائي.
- المشاريع المرتبطة بتطهير المياه والمحيط. (زيمان كريم، 2010).

أما على المستوى التشريعي فقد تم صياغة عدد من القوانين والمراسيم منذ سنة 2001، كانت الإطار القانوني الضابط والمنظم لحماية البيئة وتحقيق أهداف سياسات التنمية المستدامة، من بين هذه التشريعات نذكر ما يلي :

- قانون رقم 01-20 المؤرخ 12 ديسمبر 2001 الهيئة العمرانية في إطار التنمية المستدامة.

- قانون رقم 01-19 المؤرخ 12 ديسمبر 2001 المتعلق بتسيير ومراقبة الاستغناء عن الفضلات.

- قانون رقم 04-09 المؤرخ 19 اوت 2004 ترقية الطاقات المتجددة في إطار التنمية المستدامة.

- قانون رقم 04-20 المؤرخ 25 ديسمبر 2004 الوقاية من الأخطار وتسيير الكوارث في إطار التنمية المستدامة.

- قانون رقم 03-10 المؤرخ 19 جويلية 2004 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة.

لقد حاولت السلطات العمومية الجزائرية إذن توفير بيئة تشريعية ومؤسسية مناسبة لتنفيذ برامج التنمية المستدامة بفعالية وحددت استراتيجيات متوسطة وبعيدة المدى لمعالجة قضايا استدامة متعددة كمواجهة مشاكل نقص المياه من خلال توفير الموارد البيئية وبناء

السدود، وكذا معالجة ظاهرة التصحر وإعادة استخدام المياه القذرة وإنشاء محطات تحلية ماء البحر، أيضا اهتمت الجزائر بإشكالية تسيير النفايات الصلبة والسائلة، وسعت أيضا للحفاظ على التنوع البيولوجي من خلال إنشاء الحظائر الوطنية وكذلك المحافظة على المواقع المحمية(زمران كريم، 2010).

إن الرهان الأساسي الذي واجه السلطات العمومية لدى شروعها في تنفيذ سياساتها الاستدامة هورهان إقناع الأفراد وتنظيمات المجتمع المدني بضرورة الانخراط الايجابي في سياقات تنمية الوعي الشخصي والمنظماتي اتجاه قضايا الاستدامة، وذلك من خلال حملات اتصالية تحسيسية ترمي إلى إشراك كل الأفراد في انجاز مشاريع بيئية، بشكل يجعلهم يحسون بأنهم معنيون بها او لا، وأنهم محور الاستدامة الأساسي، لذا فوسائل الاتصال بمختلف أنماطها هي الأدوات الوظيفية المناط بها دور رفع الوعي الشخصي والجمعي بأهمية المشاركة في قضايا التنمية المستدامة.

إن ولادة الاتصال الاستدامي في الجزائر هي مسألة حتمية أملتها ظاهرة بروز المشاكل البيئية الخطيرة جراء تلوث المناخ وانتشار النفايات بأنواعها...الخ، مما فرض وجوب توظيف الأدوات الإعلامية والاتصالية لخدمة القضايا البيئية، من خلال التربية الاستدامية.

لقد خصصت عدد من الصحف والمجلات الجزائرية وكذا التلفزة الوطنية بقنواتها الخمسة والإذاعة الوطنية بقنواتها المحلية برامج ومضامين إعلامية استهدفت إكساب الأفراد والجماعات الخبرة والدراية الكافيتان بعناصر ومكونات وقضايا وإشكاليات البيئة، وذلك لتمكينهم من فهم العلاقة التأثيرية المتبادلة بينهم وبين بيئتهم، لجعلهم يقدرون قيمة المكونات البيئية الأساسية المحيطة، ويتعرفون على المشاكل والإشكاليات البيئة المحيطة بهم، كما استهدفت هذه البرامج الإعلامية تدريب الأفراد والجماعات على حلها ومنع حدوثها، وتجنب الوقوع في الكوارث البيئية وما يترتب عليها من أزمات اجتماعية، او اقتصادية، او سياسية في بعض الأحيان. (وقائع الملتقى الإعلامي العربي الاول للبيئة والتنمية المستدامة، 2006)

إن عددا من الصحف والإذاعات وحتى التلفزة الوطنية في الجزائر وضعت خطط تعاوان مشترك مع مؤسسات ودوائر حكومية للقيام بالحملات التوعوية للاهتمام بالبيئة، كالاتفاقيات المبرمة بين مديريات البيئة على مستوى كثير من الولايات مع الإذاعات المحلية، إذ تزود تلك المديريات صحفيي الإذاعات بالمعلومات والإحصاءات حول ظواهر بيئية معينة كالتلوث، التدخين، الإسراف في استغلال الماء الشروب...الخ، وغالبا مع تتوج تلك الاتفاقيات ببرامج او حملات اعلامية توعوية

مشتركة، كما نجد أن بعض وسائل الإعلام الجزائرية تتعاون مع مديريات الأمن والدرك الوطنيين للمساهمة مع بعض في تنشئة وتوعية الأفراد عن طريق بث وإعداد حصص مشتركة، او المساهمة في حوارات صحفية، او توزيع مطويات وملصقات توعوية...الخ

فعلى سبيل المثال فقد نظّمت الإذاعة الجزائرية يوم الأحد 10 جانفي 2011 حملة تحسيسية تحت شعار 2011 عام من أجل البيئة، وذلك بالتعاون مع شركاء ينتمون إلى مؤسسات ومنظمات مهتمة بمجال البيئة، وقد استهدفت الإذاعة الجزائرية وشركاؤها من خلال هذه الحملة تعبئة كلّ الإمكانيات من أجل أن تكون سنة 2011 نموذجا للتحرك الفاعل على الصعيدين العملي والتحسيبي في سبيل المحافظة على البيئة.

من بين البرامج التوعوية التي تذاق في الإذاعات الوطنية وترمي إلى بث الثقافة الاستدامية والبيئية برنامج ففي "البيئة والمحيط"، مدة إذاعته خمسون (50) دقيقة، وعالج البرنامج مواضيع كثيرة كتلوث المياه بالنفايات الصلبة، تلوث الشواطئ، مشكل التصحر ومياه الصرف.

أما على مستوى الإذاعات المحلية فإذاعة سطيف تذيع برنامجا أسبوعيا أطلق عليه اسم "ايكولوجيا" مخصص لتغطية الأخبار البيئية بمنطقة سطيف ونواحيها، كما يبث برنامج آخر بإذاعة برج بوعروريج بعنوان: "البيئة والمحيط"، وبرنامجين آخرين أطلق عليهما: "ركن

أكسجين " و" الومضات الإعلامية البيئية"، وتوجد إذاعة أخرى في جنوب الجزائر تذيع برنامجا إذاعيا أسبوعيا آخر بعنوان "العالم الأخضر" بخصوص الإذاعات المتخصصة في الجزائر فالإذاعة الثقافية أيضا اهتمت بموضوع التنمية والبيئة من خلال برمجتها في بدايات 2004 لبرنامج أسبوعي بعنوان "البيئة والحياة"، خصص للحديث عن المحميات والتنوع البيولوجي والتلوث، كما أن القناة الثالثة الناطقة باللغة الفرنسية خصصت أيضا برنامج توعويا أسبوعيا يذاع كل أربعاء أطلق عليه اسم "أربعاء البيئة".

مؤسسة التلفزة الوطنية أيضا بقناتها الأرضية و فضائياتها الأربعة (القناة الثالثة، القناة الناطقة باللغة الأمازيغية، كنال ألجيري Canal Algérie، وقناة القرآن الكريم) بدورها استهدفت من خلال بعض البرامج والحصص سواء الوثائقية او الإخبارية توعية الجماهير بأهمية الحفاظ على البيئة الطبيعية وإدارة مواردها بتوازن، من خلال إمداد الأفراد والمجموعات بالمعلومات والمعارف الكافية التي تمكنهم من التصرف السليم حيال احترام البيئة وحسن استغلال الموارد الطبيعية، بل أن يتجاوز ذلك إلى تشكيل رأي عام يضغط على أصحاب القرار لاعتماد خطط تنمية متكاملة اتجاه قضايا الاستدامة، وأيضا توفير المعلومات

والآراء والتحليلات الدقيقة الملائمة عن الاوضاع والخيارات الاستدامية للمسؤولين وأصحاب القرار، تمكنهم من التصرف السليم والعقلاني. من أهم البرامج التي يتم بثها في التلفزيون الجزائري ذات الصلة بالتنمية المستدامة نشير إلى برنامج أسبوعي عنوانه: " البيئة والمجتمع"، يهتم بتناول تأثيرات المشكلات البيئية على المواطنين، ويركز البرنامج على إجراء تحقيقات ميدانية اعتمادا على المقابلات والاستجابات المباشرة مع المواطنين الذين يعانون من مشكلات بيئية معينة، كما أن التلفزيون الجزائري كان يبث برنامجين آخرين قبل برمجته لحصة "البيئة والمجتمع"، البرنامج الاول عنوانه " الإنسان والبيئة"، والبرنامج الثاني طابعه فلاحي عنوانه " إرشادات فلاحية".

أما على نطاق استراتيجيات الإعلام المكتوب اتجاء قضايا الاستدامة فهناك عدة دوريات جزائرية باختلاف دورية صدورها: يوميات وطنية، محلية، أسبوعية، متخصصة، مجلات... الخ اهتمت اغلبها بتخصيص فضاءات تحريرية لتناول مسائل التنمية المستدامة، سواء على مستوى إدراجها لأركان قارة مخصصة للبيئة والاستدامة، كركن بيئة في جريدة... الخ، او من خلال تغطياتها المتواصلة في أركان مختلفة كالمحليات او الركن الوطني، او الاقتصادي او المجتمع لأخبار متعلقة سواء بمخاطر بيئية معينة، او تهديدات متعلقة بسوء استغلال الموارد

طبيعية او مشكلات التنوع البيولوجي، او مسائل أخرى متعلقة بقضايا الاستدامة، تكون هاته التغطيات على شكل أخبار وتقارير إخبارية، او على شكل تحقيقات ميدانية واستطلاعات تستهدف التعمق في تحليل مشاكل بيئية معينة من خلال إجراء مقابلات مع أشخاص معينين متضررين شخصيا او اعتمادا على تصريحات المسؤولين وأصحاب القرار للوصول لحقائق ومعلومات موضوعية اتجاه القضية المعالجة.

من أهم الصحف اليومية الوطنية التي تعنى بموضوع الاستدامة نذكر خصوصا يومية الوطن "El Watan"، الصادرة باللغة الفرنسية، إذ تعد نموذجا رائدا للصحف المهتمة بالقضايا البيئية من خلال تغطياتها ومعالجاتها المستمرة للأحداث والنشاطات المرتبطة بمعالجة مواضيع عديدة كالتلوث، التصحر، مشكلة المياه، مشكلة الفقر... الخ، جريدة الخبر اليومية أيضا بدورها تخصص دوريا مساحات تحريرية لتغطية القضايا البيئية، كما أنها تقوم باستمرار وبانتظام بتغطية نشاطات وزارة تهيئة الإقليم والبيئة والسياحة، إضافة إلى التحقيقات الميدانية التي يتولاها صحفي والجريدة عن مواضيع استدامة متنوعة كالتحقيقات الميدانية الدورية عن تلوث الساحل بمياه الصرف غير المعالجة، وفضلات السفن ومشكلة استنزاف الثروة الغابية.

خاتمة :

إن مجمل التغطيات الإعلامية لمواضيع الاستدامة في وسائل الإعلام الجزائرية اتسمت بتبني مقاربات توعوية متضمنة قيم ايجابية كالخير والجمال والإنسانية، وذلك لمحاولة جذب جماهيرها وغرس ثقافة الاستدامة في أذهانهم وفي سلوكياتهم، وتتمظهر تلك القيم الايجابية في الدعوة للحفاظ على البيئة من خلال تشجيع المبادرات الجماعية والفردية كالأعمال التطوعية مثل: التشجير، حملات التنظيف العامة، حملات التهيئة الحضريّة والعمرانية... الخ، وقد اعتمدت اغلب تلك الحملات على تنفيذ استراتيجيات اتصالية ذات طابع إقناعي تخويفي (كالتحذير من مخاطر إهدار الموارد الطبيعية، والتحذير أيضا من مخاطر التلوث)، او ذات طابع ترفيهي (كالرسوم التصويرية الكاريكاتيرية المصاحبة لحملات التوعية، واستخدام الموسيقى والمؤثرات الصوتية الملازمة أيضا للنصائح البيئية المعروضة)، او ذات طابع معرفي صرف (أي اعتماد عرض معلومات علمية بخصوص قضايا بعينها).

رغم تنويعنا سابقا بمساهمات بعض مؤسسات الإعلام الجزائرية في جهود تحقيق برامج التنمية المستدامة التي باشرتها الدولة منذ مدة طويلة، ورغم اعترافنا بدورها الفاعل كشريك استراتيجي في غرس ثقافة الاستدامة في ذهن الفرد الجزائري إلا أن ما ينتظر منها اكبر بكثير مما هو

موجود ومحقق حاليا، فأغلب فئات المجتمع لا تعي بشكل كاف حجم الضرر الذي يتهدها جراء التلوث الصناعي مثلا، او بسبب تأثيرات ظاهرة الاحتباس الحراري، لذا الدور مناط بوسائل الإعلام أن تنشط بفاعلية أكثر لأجل تحسيس الأفراد والمجموعات وتنمية الوعي البيئي والاستدامي لديهم، وأن تساهم كل مؤسسات الإعلام دون استثناء في نشر الثقافة الاستدامية في المجتمع سواء كانت وسائل إعلام عمومية او خاصة، مكتوبة او سمعية بصرية، او إعلاما جديدا (من خلال المدونات الالكترونية، حملات التوعية على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي...)، فالكل مسئول على حماية المحيط الذي نعيش فيه، والكل مطالب لأن يشارك كطرف استراتيجي في تفعيل آليات رفع درجة الوعي لدى الأفراد بأهمية الحفاظ على البيئة.

إن بناء اتصال استدامي، او اتصال مسئول - كما يطلق عليه غالبا في أدبيات الاتصال في الغرب - ينخرط في مهمة التربية البيئية لا يتحقق إلا بتبني استراتيجيات جديدة تستهدف بالأساس تكوين اتصاليين او صحفيين متخصصين في الاتصال الاستدامي، يتمتعون بمهارات تواصلية عالية ويتوفرون على كفاءات علمية ومعرفية مناسبة، تمكنهم من إعداد خطط واستراتيجيات اتصالية بناءة لممارسة الإقناع، كما يستوجب على هؤلاء الاتصاليين أيضا أن يتواصلوا ويحتكوا مع الخبراء البيئيين

والعلماء، فذلك ما يمكنهم من تكوين خلفيات معرفية كافية بخصوص مواضيع الاستدامة، والمطلوب منهم أيضا أن يتعاونوا مع مؤسسات المجتمع المدني ذات الصلة بالشأن البيئي ويكونوا معهم شراكات حقيقية لتنفيذ برامج توعية وتكوين استدادي مشترك.

قائمة المراجع:

- 1- يحيى اليحياوي. (2012). الإعلام كتنمية، استرجعت بتاريخ: 12-03-2012، من: http://www.elyahyaoui.org/art_ar.htm
- 2- حسين، سمير محمد. (1988). الإعلام التلفزيوني الخليجي والتنمية الشاملة. الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية، ص، 13.
- 3- رضا عبد الواحد أمين. (2000). الإعلام ودوره في الوعي بقضايا التنمية المستدامة. " مجلة الإذاعات العربية"، تونس : اتحاد إذاعات الدول العربية، ص 27.
- 4 -Solange Hémerly-Jauffret.(2013). « Communication responsable, eco-communication, communication durable... », <http://vedacom.fr/formation-communication-responsable/communication-responsable-bonnes-pratiques/eco-communication-communication-responsable-communication-verte/>
- 5 F,Cristelle, G, Marrion. (2008). « Communication au service du développement durable ».INALCO, CILM.
- 6- علي السيد وجمال الدين صالح. (2003). الإعلام البيئي، مصر: مركز الإسكندرية .

- 7- نادر غازي. (2012). مقترح إستراتيجية وطنية للتوعية والإعلام البيئي، مديرية التدريب والتوعية والإعلام البيئي، استرجعت من : smap.ew.eea.europa.eu/media.../National_Strategy
- 8- تقرير التنمية البشرية. (2011). " الاستدامة والإنصاف: مستقبل أفضل للجميع"، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2011، ص 4.
- 9- صالح خليل أبوأصبع. (2009). الاتصال والتنمية المستدامة في الوطن العربي. عمان : منشورات جامعة فيلاديلفيا، ص 181.
- 10- المرجع نفسه، ص ص 181-182.
- 11- تقرير التنمية البشرية. (2011). مرجع سبق ذكره.
- 12- المرجع نفسه.
- 13- المرجع نفسه.
- 14- أحمد ملحة. (2000). الرهانات البيئية في الجزائر. الجزائر: مطبعة النجاح.
- 15- Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement. (2002). Plan national d'actions pour l'environnement et le développement durable (PNAE-DD), Janvier, p: 71.
- 16- شريف بقة. (2007). واقع التنمية المستدامة في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، "مداخلة مقدمة للملتقى الدولي حول للتنمية المستدامة، جامعة فرحات عباس، سطيف.
- 17- زرمان كريم. (2010). "التنمية المستدامة في الجزائر من خلال برنامج الإنعاش الاقتصادي 2009-2001"، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، جامعة بسكرة، العدد 7.

18- احمد ملحة، مرجع سابق.

19- وقائع الملتقى الإعلامي العربي الاول للبيئة والتنمية المستدامة.
(2006) القاهرة، وزارة الدولة لشئون البيئة، ايام 27-29/11/2006.